

تفسير ابن كثير

قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ^ج مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ^ج أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

ثم قال : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي : هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات القصيرة ، فقلوه : (من لعنه الله) أي : أبعده من رحمته (وغضب عليه) أي : غضبا لا يرضى بعده أبدا (وجعل منهم القردة والخنازير) كما تقدم بيانه في سورة البقرة . وكما سيأتي إيضاحه في سورة الأعراف [إن شاء الله تعالى] وقد قال سفيان الثوري : عن علقمة بن مرثد ، عن المغيرة بن عبد الله ، عن المعرور بن سويد عن ابن مسعود قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير ، أهي مما مسخ الله [تعالى] ؟ فقال : إن الله لم يهلك قوما - أو قال : لم يمسخ قوما - فيجعل لهم نسلا ولا عقبا وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك " . وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما ، عن مغيرة بن عبد الله الشكري به . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا داود بن أبي الفرات ،

عن محمد بن زيد ، عن أبي الأعين العبدى عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود قال :
سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنزير ، أهى من نسل اليهود؟ فقال :
" لا ، إن الله لم يلعن قوما فيمسخهم فكان لهم نسل ، ولكن هذا خلق كان ، فلما غضب
الله على اليهود فمسخهم ، جعلهم مثلهم " . ورواه أحمد من حديث داود بن أبي الفرات
به . وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا الحسن بن محبوب
، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال
: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحيات مسخ الجن ، كما مسخت القردة
والخنزير " . هذا حديث غريب جدا . وقوله : (وعبد الطاغوت) وقرئ (وعبد الطاغوت
(على أنه فعل ماض ، " والطاغوت " منصوب به ، أي : وجعل منهم من عبد الطاغوت
. وقرئ : (وعبد الطاغوت) بالإضافة على أن المعنى : وجعل منهم خدم الطاغوت ، أي
: خدامه وعبيده . وقرئ (وعبد الطاغوت) على أنه جمع الجمع : عبد وعبيد وعبد ،
مثل ثمار وثمر . حكاها ابن جرير ، عن الأعمش . وحكى عن بريدة الأسلمي أنه كان
يقرؤها : " وعابد الطاغوت " ، وعن أبي وابن مسعود : " وعبدوا " ، وحكى ابن جرير ، عن

أبي جعفر القارئ أنه كان يقرأها : (وعبد الطاغوت) على أنه مفعول ما لم يسم فاعله ،
ثم استبعد معناها . والظاهر أنه لا بعد في ذلك ؛ لأن هذا من باب التعريض بهم ، أي :
وقد عبدت الطاغوت فيكم ، وكنتم أنتم الذين تعاطوا ذلك . وكل هذه القراءات يرجع
معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا ، والذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات
دون [ما] سواه ، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر؟ ولهذا قال
: (أولئك شر مكانا) أي : مما تظنون بنا (وأضل عن سواء السبيل) وهذا من باب
استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة ، كقوله : (أصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) [الفرقان : 24]